العرب
الثلاثاء 2020/03/03
السنة 42 العدد 11635

امرأة تعيش تمزقا بين رجال انتهازيين

«الصمت يولد على الجفون» رواية تونسية عن أوجاع الحب في زمن الفيسبوك

يعتبر الأدب الروائي التونسي المكتوب بلغات أخرى أكثر جرأة، حيث يقارب مواضيع ربما لا يقاربها بنفس الأسلوب الأدب المكتوب بالعربية. وربما يعود هذا إلى أن الأدب بلغات أخرى، فرنسية أو إنجليزية مثلا، موجه أيضا إلى قراء لهم انفتاح أكبر من القارئ المحلي، ولكن تبقى الجرأة شرطا أساسيا في الكتابة الأدبية.

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

ولدت التونسية ناجية الصغير في الإمارات العربية المتحدة، وعاشت هناك 26 سنة. وبعد أن درست الفلسفة في جامعة السربون الفرنسية، عادت إلى تونس لتصدر بلغة موليير عن دار "نقوش عربية" أول رواية لها بعنوان "الصمت يولد على الجفون".

رواية الكاتبة الأولى صغيرة، لكنها مكثفة، تتخللها استعارات وفقرات مفعمة بشاعرية تذكر بلغة كل من فرنسواز ساغان في "وداعا أيها الحزن" التي تروي فيها الصدمات الأولى بعالم الحب والجنس، ومارغريت دوراس في "العاشق" التي ترسم فيها صورة أسرة لقصة حب عاصفة بين شابة فرنسية مقيمة في ما كان يسمى بالهند الصينية "فيتنام اليوم"، وشاب من تلك المنطقة.

خيبات الحب

منذ البداية تشدنا رواية ناجية الصغير فلا نتركها إلاّ بعد أن ننتهي منها وفي أنفسنا مرارة، بطلتها ابتهال التي تطالعنا في الفقرة الأولى بهذا البوح الحزين "الهواء رطب ثقيل، تترسّب فيه بقايا مطر عابر سقط قبل ساعات قليلة. وأنا مبللة من السّاق حتى الرأس، ولا أكاد أميّز ما حولي بوضوح. وقدرتي على تمييز الأشياء المادية التي تحيط بي تتضاءل شيئا فشيئا. وليس باستطاعتي سوى أن أدرك الفراغ الذي يزداد اتساعا ليتملّك كياني وحياتي".

> شابة بعد أن قطعت علاقتها بحبيبها تجد نفسها وحيدة بلا سند لذا تلجأ إلى علاقات جنسية عابرة

ثم ترسم الكاتبة صورة مرعبة لحالتها النفسية المتدهورة، تضيف ناجية الصغير قائلة "أنا محبوسة الآن داخل كرة بلورية صغيرة الحجم، فيها أختنق، ومن خلالها أنا لا أكاد أرى شيئا بسبب تشوش رؤيتي. الأحداث تتلاحق في سلسلة من تزاوج الأسباب والأحداث، وهي متوقّعة جدا، من دون أن تفضي إلى أي شيء مهم يمكن متابعته بشكل واضح ومكشوف".

بعد هذا البوح، تشرع ابتهال في رواية تفاصيل حياتها العاطفية التي رمت بها داخل نفق مظلم من الخيباب والانكسارات. فبعد أن قطعت علاقتها بالرجل الذي كانت تنتظر أن يكون زوجها، تجد نفسها وحيدة، بلا سند مادي أو معنوي. وهي تحاول أن تقاوم هواجس الوحدة بالتهجد والعبادة، لكنها لا تجد في كل ذلك ما يخفف عنها وطأة الأوجاع التي كانت تزداد حدة يوما بعد آخر.

تشرع بطلة الرواية في البحث عن رجال يعيدون لها الثقة بالنفس، ويبعدون عنها شبح العنوسة التي تهددها، والتي تخشاها عائلتها، ووالدتها بالخصوص.

وعبر الفيسبوك، تسعى ابتهال إلى أن تجد شابا يقاسمها الحب وملذاته. وفعلا تعثر على عدة رجال، غير أن جميعهم يشبعون رغباتهم الجنسية منها، ثم يختفون، فلا تعثر لهم على أثر.

عودة الأمل

بسبب تعدد الخيباب، تحاول ابتهال أن تجد في الكحول ما يمكن أن يساعدها على استعادة حيويتها، وحبها للحياة، إلاّ أن ذلك يضاعف من عذاباتها النفسية والجسدية تماما مثل الممارسات الجنسية العابرة.

امرأة تعاني من الخذلان (لوحة للفنانة سارة شمة)

في إحدى فقرات الرواية، يسأل شاب ابتهال بعد أن ضاجعها بسرعة خاطفة "هل أحببته؟"... لكنها تغرق في الصمت. بل إنها تنظر إليه من دون أن تراه.

لم يكرر الشاب سؤاله، بل يمضي إلى المطبخ باتجاه كأس الويسكي. وتنظر هي إليه، وتتذكر أنها بحاجة إلى جسده مُلتصقا بجسدها، لكنها سرعان ما تعاين أنه بعيد جدا عنها، وأنه لا ينظر إليها. ثم يستدير ويأمرها أن ترتدي ثيابها فتطيعه وتخرج وهي واثقة أنها لن تراه أبدا. لذلك تسارع بفسخ رقم هاتفه الجوال لتعود من جديد إلى وحدتها القاتلة.

وذات يوم تدخل مكتبة لتحضر حفلة توقيع كتاب جديد. ومن النظرة الأولى تقع في غرام المؤلف الشاب الذي يأخذها إلى شقته لتتعرف على حبيبته. والثلاثة يحاولون ممارسة الجنس في فراش واحد غير أن العملية تفشل. وبعدها تتوطد العلاقة بين الفتاتين لنكتشف في النهاية أن المؤلف الحقيقي ليس ذلك الشاب، وإنما حبيبته. مرة أخرى تصاب ابتهال بخيبة مرة تزيدها اقتناعا بتفاهة العلاقات في عالم تغلب عليه الأكاذيب والمظاهر الخادعة، والعلاقات الافتراضية التي لا تترك في النفس سوى مرارة الخيبة والإحباط القاتل. وللهروب من كوابيس هذا العالم المقيت، تنطلق ابتهال لزيارة والدتها في مسقط رأسها، لكنها تتوقف في وسط الطريق بعد أن تتأكد أن المواجهة مع والدتها ستكون مرعبة ومدمرة.

وعلى لسان بطلتها تكتب ناجية الصغير قائلة "التفكير في موتي ليس أشد حلكة وحزنا مما أنا أتصور. وأنا أتصور نهايتي بطرق مختلفة: كأن تدوسني سيارة، أو كأن ألقي بنفسي من أعلى عمارة فينفجر رأسي على الرصيف، أو كأن أقطع عروق يدي ليفرغ جسدي من الدم. لي رغبة محمومة في أن أرحل. هذا ما أبتغيه بكل جوارحي... أن أرحل. أن أتحرر. التفكير في هذا الموت السعيد يرفعني إلى ما فوق الزمن، ويحررني من كل مسؤولية مواصلة تحمل المزيد مما لا يمكن تحمله".

تمثلات الشرق في السرد الرحلي الألماني

مفيد نجم
كاتب سوري

يشكل كتاب تمثلات الشرق في السرد الرحلي الألماني للدكتور زهير سوكاح والفائز بجائزة ابن بطوطة للدراسات إضافة مهمة للدراسات التي تعنى بأدب الرحلة في الغرب وعلاقته بالاستشراق الأوروبي.

يتخذ الباحث من عدد من نصوص الرحلة الألمانية التي تعود للقرن التاسع عشر وبداية القرن الحالي موضوعا للدراسة والتحليل لمعرفة الكيفيات التي كان، ومازال، يتم النظر من خلالها إلى عالم الشرق باعتباره كلّا واحدا يتسم بسمات التخلف والعدوانية.

يرى الباحث أن الرحلة والكتابة شكلتا وسائط مثالية للظاهرة الاستشراقية، لكن هذه الدراسة تفترض على خلاف فرضية إدوارد سعيد أن الاستشراق الألماني لم يكن أقل إمبريالية وهيمنة من الأنماط الاستشراقية الأوروبية الأخرى.

ويذهب الباحث من خلال تحليله للنصوص الرحلية الحديثة إلى أن الاستشراق الألماني مازال يحافظ على هذا الطابع في الدول التي تتكلم الألمانية.

وساهم الاهتمام الكبير بالشرق في جعل أدب الرحلة يتقدم على الاهتمام بأوروبا وأميركا ولذلك ظلت حمولاته الأيديولوجية ترتبط ارتباطا وثيقا بالظاهرة الاستشراقية لاسيما في نصوص الرحلة الألمانية الحديثة على الرغم من أهمية هذه النصوص. ومن الملاحظات التي يسجلها الباحث عن هذه النصوص أنها تتميز باهتماماتها الجزئية ووفق معايير بحثية محددة ظلت تهتم بصورة الشرق الأوروبية، ولذلك تأتي هذه الدراسة لسد ثغرة بحثية من خلال تقديم دراسة موسعة للعلاقة بين أدب الرحلة والاستشراق ضمن الأبحاث ما بعد الكونيالية.

يتناول الباحث مسألة مهمة في الاستشراق الغربي تتمثل في أن الشرق يظهر فيه بوصفه تمثلا جمعيا يعاد إنتاجه، حتى تحولت هذه الصورة عنه إلى نوع من الحقائق المكرسة بسبب ثبات هذه الصورة التي أصبح من الصعب تجاوزها.

لقد تأثرت النظرة الغربية للشرق بالإرث التاريخي حول الصراع المسيحي الإسلامي في القرون الوسطى، وقد أسهمت صورة الشرق المتخلف في تعزيز ظاهرة الاستشراق على الرغم من أن هذه السمة الخاصة للشرق ظلت ملازمة لأدب الرحلة الألماني، ما كشف عن عملية التنميط التي أخذت بالتصاعد حتى بعد مرحلة زوال الاستعمار عن هذا الشرق. وإن هذا التنميط يشير إلى مسألة مهمة تتمثل في الموقف الاستعلائي الذي تعبر عنه من قبل المستشرقين الغربيين.

لقد كانت الرحلة أداة مهمة لتصوير الشرق ما جعلها من أهم الوسائد النصية للاستشراق وذلك من خلال تأكيدها على ثنائية الأنا والآخر والتعارض القائم بينهما والذي يصعب تجاوزه. واتسم هذا النوع من الأدب في ألمانيا بمسميات متعددة في حين أن النصوص التي تبحث فيه مازالت نادرة ما جعل تعريفه باعتباره جنسا أدبيا يختلف باختلاف المقاربات التي تتعاطى معه، كما يظهر من خلال المقارنة التي يقوم بها بين عدد من المعاجم الألمانية.

تشير الدراسة إلى أن هذا النص الرحلي يتسم أولا بصحته الوثائقية التي لا تمنع من وجود مقاطع خيالية فيه، الأمر الذي يجعل هذا الخلط يحد من قيمته المعلوماتية. ويرى الباحث أن السبب في ذلك لا يكمن في الرؤية الشخصية للرحالة بقدر ما يعكس التكوين الثقافي الخاص به وما ساهم فيه هذا التكوين في تعزيز هذه الصورة النمطية للشرق عنده.

وإلى جانب هذا الاختلاط بين الواقعي والخيالي هناك المعيارية التي تجعل منه سردا حول رحلة ما، إضافة إلى تعدد أشكاله النصية حول تجربة الرحلة المعاشة ما يجعلها تتداخل مع أجناس أدبية أخرى مثل الرسالة والتقرير والمقالة والوصف ويجعلها مجموعة من النصوص غير المتجانسة. ويركز الباحث في هذا الكتاب على النصوص الرحلية في القرن التاسع عشر باعتبارها الأكثر مساهمة في تكريس النظرة الاستشراقية للشرق بوصفه النقيض للهوية الثقافية الغربية.

وعلى خلاف أدب الرحلة السابق تتميز النصوص الجديدة التي كتبت في بداية هذا القرن بارتباطها الواضح بتيارات ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار والعولمة. لذلك كان هذا الأدب وثيق الصلة بمفهوم السياحة. لقد أحدث ذلك ثورة في هذا الأدب وجعله أكثر تنوعا كما بدأ التصوير الفوتوغرافي يحتل مكانة كبيرة فيه.

ويرى الباحث أن هذا الأدب أصبح يحظى باهتمام كبير من القارئ الأوروبي لاسيما ما يتعلق منه بالشرق الأوسط والمغرب العربي.

> النظرة الغربية للشرق تأثرت بالإرث التاريخي حول الصراع المسيحي الإسلامي في القرون الوسطى ما جعلها مغلوطة

وحول تطور صورة الشرق في أدب الرحلة الألماني الذي يشهد تطورا واضحا في هذا القرن يرى الباحث أن هذه النصوص تعد مصدرا موثوقا للمعلومات عن الآخر ووسيلة إخبار موثوقة. إن صورة الشرق في هذه الكتب قد مثلت مكانا حصريا للترفيه وعالما نوستالجيا يتمثل فيها الشرق تمثيلا تقليديا في أهم هذه النصوص أو مكانا للمغامرة أو عالما قاسيا سياسيا فهو أرض التسلط التي يعاني فيها الناس من الفظائع الاستعلائي الذي تعبر عنه من قبل المستشرقين الغربيين.

وفي نهاية الكتاب يقدم الباحث مجموعة من الخلاصات حول التقهقر الاستشراقي الذي يثبت أن الاستشراق لا يقدم ولا يصور إلا نفسه بحيث لا يظهر الشرق سوى إسقاط لا تاريخي. لقد ظل الاستشراق الألماني يجبر ذاته على شرقنة الشرق الذي تتخيله من أجل الحفاظ على ذاتها كنظام تقييم متفوق الأمر الذي يجعل منه ظاهرة لا تاريخية.

صور نمطية مغلوطة عن الشرق

أكثر من 250 جهة في معرض القصيم للكتاب

القصيم (السعودية) – تشارك أكثر من 250 جهة ما بين دار نشر وجهات تعليمية وأكاديمية في معرض القصيم للكتاب الذي تستضيف فعاليات دورته الجديدة لأول مرة محافظة عنيزة، وذلك خلال الفترة من 4 إلى 14 مارس الجاري في مركز الملك فهد الحضاري.

ويقام المعرض في نسخته الثالثة بمحافظة عنيزة تشجيعا للتنوع المكاني له، وتعزيزا لهذه التظاهرة الثقافية في تنقلها بين كافة أنحاء المنطقة.

ويشهد المعرض مشاركات نوعية من قبل الجهات الحكومية في المنطقة، ودور نشر وشركات ومؤلفين، بالإضافة إلى فعاليات ثقافية متنوعة، تسهم في تطوير صناعة النشر والتأليف في المملكة وابتكار أساليب جديدة للتواصل المعرفي والتبادل الثقافي، وتقديم الأفكار التي من شأنها تشجيع القراءة والاطلاع على كل محتوى نافع، كما يقدم المعرض أنشطة ثقافية واجتماعية وتوعوية وشعرية متنوعة.

معرض القصيم للكتاب
Al-Qassim Book Exhibition
محافظة عنيزة
Unaizah Governorate

> المعرض يشهد مشاركات نوعية من جهات حكومية ودور نشر وشركات ومؤلفين ويقدم فعاليات ثقافية متنوعة

وبيّن المنسق العام للمعرض إبراهيم بن صالح الهطلاني أن معرض الكتاب الثالث بالقصيم، سيكون مكانا جاذبا ومثاليا للثقافة والمثقفين، مشيدا بالدعم الملموس من قبل أمير منطقة القصيم للمعرض على كافة الأصعدة، وكذلك متابعة محافظ عنيزة، مقدما شكره لدور النشر المشاركة في المعرض.

وبدوره أكد عبدالرحمن بن إبراهيم السليم، نائب رئيس اللجنة العليا للمعرض ومحافظ عنيزة، في ختام جولة تفقدية لفضاء المعرض أن المقر جاهز تماما لاستضافة الحدث الثقافي الكبير، معبرا عن شكره وتقديره لفريق العمل الذي بذل جهودا كبيرة خلال الفترة الماضية حتى اكتمل العمل قبل 3 أيام من بدء الفعاليات.

ويعد معرض القصيم للكتاب أحد أهم النوافذ الثقافية والمعرفية، التي تدعم ثقافة التنوع والتميز وحرية الفكر، ويتيح المعرض لزائريه جملة من الخدمات التي تلامس شغف القراء والمؤلفين ودور النشر، وسط خدمات متنوعة تعنى بالكتاب والعلم والمعرفة، مستهدفا طبقات المجتمع المتعددة.

واعتبر أمير منطقة القصيم الأمير فيصل بن مشعل أن المعرض ليس لمجرد عرض المؤلفات ودور النشر فحسب، بل هو لعرض كل ما هو جديد في عالم الثقافة بأوعيتها المختلفة، وخصوصا التقنية الرقمية في النشر وتشجيع المكتبات الرقمية ومستجدات التقنية الحديثة في هذا المجال، والإسهام في تشجيع القراءة والاطلاع على كل محتوى ثقافي نافع، مشددا على أهمية تعزيز مشاركة الجهات التعليمية والثقافية في المنطقة وكافة أنحاء المملكة.